

أوبرا

ملكة البستوني

ترجمة

يسرى الأيوبي

ملكة البستوني

بيوتر إيليتش تشايكوفسكي

حسب قصة ألكسندر بوشكين وألحان تشايكوفسكي

أوبرا في ثلاثة فصول

وسبع لوحات

1890

أوبرا ليون

الصورة الخيالية الموسكوفية حسب لوحة لوبوك في القرن الثامن عشر

الترجمة إلى اللغة العربية

يسرى الأيوبي

حسب النص الفرنسي لأبرام ترنتز وجان كوكتو

الشخصيات

هرمان	تينور
الكونت تومسكي	باريتون
الأمير إنسكي	باريتون
تشيكالنسكي	تينور
تلروموف	باص
رئيس الاحتفال	تينور
المربية	ميترزوسوبرانو
ليزا	ميترزوسوبرانو
بولينا	كونتر ألتو
ماشيا	سوبرانو
الصبي الصغير الموظف	دور كلامي
شخصيات الوسطاء	
بريليبا	سوبرانو
ميلو فزور (لبولين)	كونتر ألتو
ظلاتوغور (لكونت تومسكي)	باريتون

أطفال طيبون، مربيات، متنزهون، مدعوون، أطفال، لاعبون، أتباع الخ..

أوركسترا

ثلاثة مزامير من قصب مع فلوت صغير

مزمارين مع بوق إنجليزي

شبابتان كلارينيت

شبابة باص

شبابتان باصون

أربعة أبواق، بوقا نفير، ثلاثة أبواق ذات أنبوبين

بوق موسيقي

دفوف معدنية

طبل أو طنبور

طبل قراري

قيثار

بيانو

آلات وترية

زمن الأداء

ثلاث ساعات

قُدِّمت في مسرح بطرسبورغ منذ 19 كانون الثاني 1890
 وفي فرنسا في مسرح سارة بيرنهارد، باريس في 8
 حزيران 1911
 وقامت بالأداء بالموسكوفية فرقة المسرح الإمبراطوري في
 موسكو

العمل في ليون

2003

الإدارة آلان بوربيبايف

إخراج، ديكور، وإضاءة بتريكا إيونسكو

الملابس ميشيل فرسني

وقام بالأدوار:

فيتالي تاراشنكو

هرمان

أولغا غورياكوف

ليزا

فاسيلي جيرالو

تومسكي

فلاديمير شرنوف

إيلتسكي

نادين دنيز

الكونتيس

سفتلانا ليغار

بولينا

مارتين أولمدا

المربية

المشاهد تجري في سنت بطرسبرغ في نهاية القرن الثامن عشر

ملخص القصة

الفصل الأول

الجنرال

في يوم جميل من باكورة الربيع في سنت بطرسبرغ، حيث كان الأطفال ينلهون باللعب في البستان الصيفي، سورين وتشكالنسكي استدعيا صديقهما، الأكثر رصانة: هرمان، منذ زمن ليمضي ليلاليه في دار للقمار ليراقب اللاعبين بذهول دون أن يلعب أبدا بنفسه. انضم الكونت تومسكي إلى اللاعبين مع هرمان الذي أسر إليه بأنه مغرم بصبيّة مجهولة، نبيلة منيعة، لا يستطيع التأثير فيها. يصل الأمير إنسكي، ويعلن قرب زواجه إلى الجمع مقدّمًا خطيبته ليزا، ترافقها جدّتها الكونتيس. هرمان يتعرّف في ليزا، أنها هي من يحبّها. والمرأتان يتعرّفان في هرمان الشاب المجهول القلق الذي يرى صامتا أمام منزل العائلة. تومسكي وقد بقي بمفرده مع أصدقائه يقصّ عليهم القدر العجيب للكونتيس: في شبابها في باريس، وكانت مغرمة باللعب، تلقت سرًا توافق ثلاثة أوراق تسمح بالربح دوما.

هرمن يُخلب بهذه المقولة: (فهذا السر لو عرفه، يُتيح له الثروة وحب ليزا). في منزل الكونتيس حيث تسكن، ليزا تعزف مع صديقاتها، ولكنّ غناءهنّ لم يستطع أن يبدد حزنها. تتساءل عن مشاعرها: إنها تُعجب بالأمير خطيبها، ولكن هرمان هو من تحب بعاطفة متأججة. وهذا الأمر يحدث صراعا بينها وبين نفسها. إنها تقاوم هذا الحب، ولكنها بالنتيجة تستسلم له.

الفصل الثاني

حفلة رقص مقنّعة في قصر في الريف. جميع شخصيّات الأوبرا موجودون هناك. هرمان حصل على بطاقة دخول من ليزا، طالبة رؤيته بشكل خاص أثناء المساء. بعد المشهد الذي يقدّم للمدعوين وهو "أوبرا الراعية المخلصة" ضمن الأوبرا، وهي من إلهام موتسارت. ليزا تلتقي بهرمان الذي حصل على مفتاح سكن الكونتيس. في مساء اليوم التالي، هرمان وقد تمّلكه سرّ الأوراق الذي

يبغي انتزاعه من الكونتس يصرّ على الحصول عليه بعد الحفل. وبدل أن يلتقي بليزا في غرفتها، هرمان يختبئ في غرفة الكونتس العجوز وينتظر بقاءها وحدها كي يكشف السرّ. يطلب منها أن تبوح بالسرّ. تنتظر إليه في صمت وهو يهددها. تصاب بذعر شديد فتقع ميّنة. الضجة تسترعي انتباه ليزا، تهرع إلى الغرفة فتجد هرمان وتفهم أن عواطفه مقصورة على اللعب، فتطرده.

الفصل الثالث

الجدال

في غرفته ذات ليلة، هرمان يقرأ رسالة من ليزا. إنها تغفر له وتعيّن لقاء في منتصف الليل على رصيف نهر النيغا. كان قد رأى بذعر صور دفن الكونتس كشبح يظهر له في منامه. وكان الخيال يحرمّ عليه الزواج من ليزا قبل أن يحلّ سرّ توافق الأوراق الثلاثة: الثالثة والسابعة والأص.

عند ضفاف النهر، أصغت ليزا لهرمان وهي بكرب شديد. يعود إليها، ولكن بفكرة ثابتة أن عليها أن تلعب لتجد توافق الأوراق الرابعة. يتركها مهجورة، ليزا ترمي بنفسها في نهر النيغا.

في غرفة القمار، أصبح هرمان لاعبا مرصودا من الأمير إنسكي الذي ينتظر الثأر منه. هرمان يضع مبلغا هائلا أمام الثلاثة ويربح. يضاعف المبلغ على السبعة ويربح. ذهول عام. ولكن الورقة الثالثة لم تكن موجودة، إنها الملكة البستوني. يظهر له شبح الكونتس وقد أضاع كل شيء، فينتحر.

تعقيب

إن عقدة ملكة البستوني، تعيش في الماضي: شبابها الذي مرّ في باريس في زمن لويس الخامس عشر ملاحظ دائما. الارستقراطية العظيمة، بثقافة غربية منعكسة في عالم غدا متقدّما عنها في كل مظهر من مظاهر الحياة الموسكوفية. في رواية بوشكين بدت صارخة لتنتشى روايات روسية؛ ففي الفصل الأول من الأوبرا تدخل المربية لتكفّ الأنظار عنا تراه مشينا وانحطاطا في الذوق: ليزا

ورفيقاتها يغتبن ويرقصن في أجواء روسيَّة! إنها، كما يُقال بالفرنسية، تحب أن تغني في شانتيي أو في فرساي، وتوثت منزلها وتزيَّنه بفخامة حسب طراز آخر عهد لويس الخامس عشر. الأغنية التي غنَّتها بصوتها الذي نالت منه السنون كانت عبارة عن تلاوة لسيرة ريتشارد قلب الأسد لجيتري. الكونتيس ظهرت في طبيعتين: سيدة عجوز متسلَّطة تحنّ إلى الماضي؛ وطبيعة ميتافيزيقيَّة: بعد موتها بشكل شبح مخيف، يحثُّ هرمان على الزواج من ليزا، وتبوح له بسرّ الأوراق الثلاثة الراححة؛ وأخيرا، حين يضيع من هرمان كل شيء، يظهر له الشبح مرَّة أخرى لعينيّه. (في رواية بوشكين، ملكة البستوني، كانت تنظر بعين ساخرة الى البطل.)

هرمان: بطل موزع القلب في عواطفه: بين حبّه لصبيَّة جهل حتى اسمها، ويشعر بإحساس غامض أنها ستكون وبالاً عليه؛ وبين حبّه للعب التي قد يحوز عليها من المقامرة. إنه شاب فقير في وسط يسهل فيه الصعود إلى الطبقة الأرستقراطية، متميِّزا في قدره، بشخصيته الرصينة، أن يرسل إلى عالم عاصف ضبابي يتجمّع في البستان الصيفي في الفصل الأول؛ بهذا المعنى هو بطل رومانسي. إن قصّة سرّ الأوراق الراححة التي تعرفها الكونتيس والتي ردها تومسكي، جعلت منه رجلا آخر. منذ تلك اللحظة اشتدّ عنده التوتر بين عاطفتي الحب والقمار حتى بلغ أعلى درجاته. وكان للقمار اليد العليا وهذا قاد لموت الكونتيس ثم انتحار ليزا.

ليزا: شخصيَّة متميِّزة بشكل أساسي بحبّها وحنف رغباتها، التي تعبّر عنها في مواجهة الجميع. وهي بهذا المعنى على درجة واحدة في حبّها مثل هرمان. وفي حدود هذه الحماسة. مجرى حياتها في العمل الأدبي كان بسيطا وفي خط واحد. فسح خطوبتها من الأمير النسكي جعلها كئيبة. هرمان سبب لها المتاعب، ولكن حين كسر الحاجز بينه وبينها كانت ترفضه. ومن ثم، فإنها هي التي قامت بالخطوة التالية بجرأة حين حددت له موعدا ليليا، في غرفتها. ولكنها أدركت عند موت الكونتيس أن هرمان

ربما كان منجذبا إلى القمر أكثر من حبّها. ومع ذلك سامحته مرّة أخرى، حتى التقائها عند ضفاف النيفا، وتأكّد لها ذلك فما وجدت إلى الانتحار سبيلا لعذابها. وهي مثل هرمان بعد ضياع كل ما يملك، لم يجد إلا الموت منقذا له.

بقية الشخصيات الأقل أهمية يدورون منجذبين نحو هذا المحور الثلاثي: رئيس الحفل، الخدم، اللاعبين، أصدقاء هرمان وصديقات ليزا، الخ. بينهم: الأمير إنسكي، خطيب ليزا، شبيه بالأمر جريمين، في أوبرا يوجين أونيجين: صارم، نبيل، محسن، أنيق، رشيق، شخصية الصراحة التي تريد إخراج الظلال العميقة في نفس هرمان، وكذلك من ليزا. بوشكين في روايته بالكاد يذكر اسمه ولا يجعله خطيب البطة.

الكونت تومسكي: هو من يغيّر دون أرادة قدر هرمان، وليزا والكونتيس بقصّه حكاية الأخيرة أنها تملك سرّ الأوراق الرابعة.

ومن ثم، فإن الشخصيات الثلاثة الوسيطة الرعاة في القصيدة الشعرية "الراعية المخلصة" التي غنّتها بريليبا تمثّل الحب العميق الذي تحمله للراعي المتواضع ميلوفزور، (معناه في الموسكوفية: جبل الذهب) وتفضّله على ثروات الدنيا كلّها، هذا المشهد الراقص اللامع بين فصلي الأوبرا أوحى لموتسارت في القرن الثامن عشر إدخال شخصيات سعيدة أخلاقية هي نقيض لهرمان وليزا.

الفصل الأول

المشهد الأول:

(البستان الصغير في بترسبورغ، يوم مشمس من أيام الربيع. أطفال يسألون أنفسهم، تحت أنظار مربياتهم، وممرضاتهم، والمشرفين عليهم.)

(كورس أطفال ومربيات وآخرين)

بنات أيها الشعاع التهاب

أبدا لا تنطفئ

واحد، اثنان ثلاثة

الممرضات تسلين، تسلين يا صغيرات

الشمس لا تؤذينا في كل الأوقات

حين تلعبين وتمارسن خبثكن يا بنات

تتركن بعض الهدوء للمربيات

تشمسن، اركضن يا صغيرات

استمتعن بالشمس قبل الفوات

المشرفات المجد لله، نستطيع أخيرا أن نتحرر

نستشق الهواء الربيعي وننظر

لا تصحن وبدون هوادة نعطفكن

والواجبات، لا تنسين فنعاقبكن

الممرضات اركضن يا صغيرات

استمتعن بالشمس قبل الفوات

المربيات دو، دو يا صغير، دو، دو، دو يا صغير

نم يا عزيزي، لا تفتح عينيك

دعني أغني لك لتستريح

دعني أهدهدك يا أمير

المرضات والمربيات

هاهم محاربونا، جنود صغار

أي نظام وأي وقار

افسحوا! افسحوا مكانا للمسار

واحد اثنان، واحد اثنان

واحد اثنان، واحد اثنان

يمين شمال، يمين شمال

انتظموا بإيقاع واحد

واحد اثنان، واحد اثنان

ليحرسكم الله! حضروا السلاح

السلاح على الورك! أسندوا البندقية!

نحن جميعا ها هنا

ليرتجف عدو روسيا منا

عدو شرس، خذ حذرك

سوداء مشاريعك

اهرب! أو استسلم لنا

هوراه! هوراه! هوراه!

دفاعنا عن وطننا

هذا قدرنا

نذهب للقتال

بهمة الأبطال

نجلب الأسرى

بدون حصر

هوراه! هوراه! هوراه!

لتحيا المرأة العظيمة

الصبيان

الضابط الشاب

الصبيان

حاملة الأعباء الجسيمة

أما القيصرة الحكيمة

مجدها جمالها!

هوراه! هوراه! هوراه!

الضابط الشاب (متكلّماً.)

برافو يا أطفال!

الصبيان (متكلّمين.)

نحن طوع أمرك،

أيها السيد النبيل!

الضابط الشاب بحراسة الله! أحضروا سلاحكم

احترسوا! إلى الأمام! إلى الأمام!

المرمضات، المربييات والمشرفات

ما أوسم جنودنا!

حقاً سيرهبون عدوّ،

أي وسامة وأيّ نظام

وهم يسيرون في انتظام!

(الجميع يتفرّقون. يدخل تشيكالانسكي وسورين.)

(مشهد مع القاعة يرافقه عزف لهرمان.)

تشيكالانسكي كيف انتهى اللعب البارحة؟

سورين بلا ريب، فقدت كل ما قدّمت

لم يكن الحظّ معي حين لعبت

تشيكالانسكي تريدان اللعب مرّة أخرى حتى الصباح؟

سورين نعم، لم أكتف.

وحق الشيطان، أرغب في الكسب مرّة على الأقل!

تشيكالانسكي هرمان كان هناك؟

سورين نعم، مثل كل مرة، من الثامنة في المساء
حتى الثامنة في الصباح،
مثبتا على طاولة اللعب،
يشرب الكأس بعد الكأس بدون كلام!
وبعدئذ؟ تشيكالنسكي

سورين يراقب لعب الآخرين
تشيكالنسكي يا له من شخصيّة مستفردة!
سورين كأنما يحمل في ضميره
ثلاث جرائم خطيرة!
تشيكالنسكي يبدو أنه فقير جدا.

(يظهر هرمان بمرافقة الكونت تومسكي.)
سورين نعم إنه ليس ثريًا
انظر إليه مليًا
كأنه شيطان أمرد
شاحب اللون أكمد

تومسكي هرمان، خبرني، ما بك؟
هرمان أنا؟ ما بي من شيء!
تومسكي هل أنت مريض؟
هرمان لا، صحتي جيّدة
تومسكي تغيرت قليلا
من قبل كنت رصينا
مرحاً أيضا
واليوم تبدو حزينا
قلقا صموتا كأنما
تحمل سرّا دفيناً

وتمضي لياليك باللعب
من المساء حتى الصباح!
هرمان نعم ما عدت أستطيع إلى هدفي الوصول
بقدم ثابتة، كما كنت قبل أجول
أشعر أنني ضائع، مستسلم لضعفي
لا أعرف ما بي، لم أعد أنا نفسي
إنني أحبّ! إنني أحبّ!
تومسكي ماذا؟ أنت تحب؟ من؟
هرمان لا أعرف اسمها
ولا أريد أن أعرفه
حتى لا أعطيها اسما كباقي الناس
عبثا مقارنتها كغيرها
عبثا تُقارن بغيري، حبي لها
حبي، فرح الفردوس
أحرسه دائما في قلبي
ولكن التفكير الغيور، أن أحدا يمتلكها
بينما أنا لا أجرؤ على تقبيل قدمها
يعذبني حبها أشد العذاب
عبثا أحاول أن أهدئه
فأرى أنني أوثقه
وأرى أنني أعانقه
لا أعرف اسم ملاكي ولا أَرغب أن أعرفه!
تومسكي إن كان الأمر كذلك، سارع للعمل
بجراحة اكشف إسمها، فيزدهر الأمل
هرمان أه، لا وا أسفاه!

إنها من عائلة نبيلة ولن تكون لي
 وهذا ما يعذبني ويقهرني!
 تومسكي نكد لك أخرى... إنها ليست فريدة زمانها...
 هرمان أنت لا تعرفني

لا، لن أنقطع عن حبها!
 آه تومسكي! أنت لا تفهمني!
 أستطيع أن أحيا بصفاء
 حين تنام عواطفني وأملكها؛
 روعي الآن تحت سلطانها
 في حلم مستفرد أنا فيه نشوان
 ثمل بحبها، وهو عليّ له السلطان
 إني مريض، مريض، إني أحب
 ووداعا، ووداعا لسلام القلب

تومسكي أنت هرمان؟ عليّ أن أعترف
 بأنني أبدا لا أصدّق
 أنك قادر على حب سواه بهذا العنف
 (جماعات من المتنزهين يجتاحون المشهد.)

(كورس المتنزهين في المشهد.)

أخيرا، مُنحنا شمسا في النهار
 ما أنقى الهواء وما أصفى السماء
 زارتنا حقا في يومنا من شهر أيار
 ما أبهج النزهة طوال النهار!
 صبرنا طويلا لنحظى بمثل هذا النهار!
 الرجال المسنون منذ سنين لم نر كهذي الشمس الساطعة

في عهد أليزابيث وأيامها الرائعة
 الصيف، والخريف والربيع
 كانت الأيام فيها يانعة
 الحياة، مرحا وجمالا وهناء
 في عهد أليزابيث وأيامها الرائعة
 الحياة، مرحا وجمالا وهناء
 النساء المسنّات فيما مضى، كانت الأيام فيه مشمسة
 وأزاهير الربيع فيه معرّسة
 والآن يُبهجنا أن نرى شمسا في الصباح
 ويُسعدنا التجوال فيه والراح
 الحياة في يومنا أسوأ مما مضى،
 هو شهر الموت والنواح
 حقا كانت الأحوال أفضل فيما مضى
 السماء مشمسة والحياة مرحة
 وكل شيء رائع في حياتنا قد انقضى
 حقا كانت الأحوال أفضل فيما مضى

البنات الصغيرات

ما هذه البهجة، ما هذه السعادة،
 ما أحلى كوننا أحياء؟
 نتنزّه في البستان الصيفي مع الأحباء
 انظرن، انظرن إلى الشباب الأكفاء
 عسكريين ومدنيين كلّهم وسماء
 أنيقين في ملابسهم، متميّزين، لطفاء
 انظرن، انظرن إلى الشباب الأكفاء
 الشمس، السماء، الهواء وغناء العنديلين
 الصبيان

والحمرة في وجوه الفتيات الصغيرات

هدايا الربيع، ومعها الحب الحبيب

يُقلق دمنا المراهق بسحر عجيب

أخيرا مُنحنا شمسا في النهار

ما أنقى الهواء، وما أصفى السماء

زارنا مشمسا شهر أيار

ما أبهج النزهة فيه طوال النهار

صبرنا طويلا لنحظى بمثل هذا النهار

صبرنا طويلا لنحظى بمثل هذا النهار

ها هي! تأكّد لك أنها لم تلاحظك؟

يبدو لي أنها الأخرى تحبّك

وأنها تتنهد في لهفة من أجلك

بدون أن تحمل لي الآمال العذاب

روحي تستطيع احتمال العذاب

أنت ترى، كيف أحياء، كيف أقاسي من أمل كذاب

لو علمت أنها لغيري، وليس لي المآب

حينها لن يكون أمامي إلا شيء واحد...

ماذا؟

الموت!

(يدخل الأمير إنسكي، سورين وتشكالنسكي يذهبان لمقابلته.)

هل أستطيع أن أهنئك؟

سمعنا أنك خطبت من تعجبك.

نعم سادتي، أنا على وشك الزواج

ملاك تألق في حياتي للزواج

سأقرن به حياتي دون انفراج!

المتنزهون

تومسكي

هرمان

تومسكي

هرمان

تشيكالنسكي

سورين

إنسكي

تشيكالنسكي حسنا، أنا سعيد من أجلك!
سورين من كل قلبي أهنتك
عش سعيدا يا أمير!
تومسكي إنسكي! أهنتك
إنسكي شكرا، يا أصدقاء
يوم سعيد لي ولكم
في يوم زواجي المبارك
تعالوا شاركوني الفرح
لقد منحتني فضلها السماء
كل شيء يبتسم، وكل شيء يتألق
مرتعشا بسعادة الحياة والهناء
أي يوم فرح! أي يوم مبارك!
وُعدت فيه بالفر دوس ونعم السماء!
هرمان (لنفسه.)
يا يوم التعاسة
يفيض فيه حزني
الفرح يعمّ ويفيض
إلا في قلبي المريض
كل شيء يبتسم، كل شيء يتألق
والحياة عليّ لا تشفق
أحسّ برعشة الهلع والعذاب
أخشى على قدرتي يميني بالعذاب
تومسكي خبرنا، من ستتزوج؟
هرمان أيها الأمير، من تكون خطيبتك؟
(تدخل الكونتيس، وبرفتها ليزا.)

النسكي (يُشير إلى ليزا.)

ها هي ذي!

هرمان هي؟ هي خطيبته؟

يا إلهي! يا إلهي!

ليزا والكونتيس ها هو ذا من جديد!

تومسكي (إلى هرمان.)

إذن، إنها هي جميلتك المجهولة!

(غناء خماسي ومشهد.)

ليزا (لنفسها.)

خائفة أنا! كأن أحداثا جديدة تنتظرني

هذا الغريب الكئيب الغامض

في عينيه شكوى صامتة تمنع

في انفجار عاطفي ملتهب تصارع

من يكون؟ ولماذا يتبعني؟

خائفة أنا! كأن عينيه بنار تسلقني

وكأن سلطانها عليّ يخذلني

خائفة أنا! خائفة أنا! خائفة أنا!

(لنفسها.)

الكونتيس

خائفة أنا! كأن أحداثا جديدة تنتظرني

هذا الغريب الكئيب الغامض

كأنه شبح تحت نفوذ عاطفة رهيبية

يصارع فيها نفسه ويغالب

لماذا تراه يتبعني؟

خائفة أنا! كأن عينيه بنار تسلقني

وسلطانها عليّ يرعبني

خائفة أنا! خائفة أنا! خائفة أنا!

(لنفسه.)

هرمان

خائف أنا! كأن أحداثاً جليّ تنتظرني

مثل شبح مميت شاحب اللون يهددني

هذه العجوز العجفاء بعينها تسلقني

أقرأ خبيثها، لماذا تتهمني!

ماذا تريد مني! ماذا تريد مني! ماذا تريد مني!

أنا تحت سلطانها

والانفجار الخبيث في عينها

من تكون؟ ناشز أنا أمامها

خائف أنا! خائف أنا! خائف أنا!

(لنفسه.)

تومسكي

هي من كان يتكلم عنها

كأنما صُعق حين رآها

وسمع الأخبار عن مصيرها.

أرى في عينيه خوفاً صامتاً

ممزوجاً بانفجار عاطفة ثائرة!

ولكن هي، هي ما أشدّ شحوبها!

أنا خائف، أنا خائف عليها!

(جانبا.)

إلنسكي

أنا خائف!

يا إلهي، لا أدري ماذا يُقلّعها

وأية عاطفة غريبة تتملّكها؟

أراها تُقاسي

وأرى خوفا صامتا في عينيها!
 خبا نورهما بضباب كثيف
 وما عادت تراني بنظراتها
 آه، أنا خائف أنا، كأنما سوء جرى لها
 يقترب غير مرئي يهددها
 خائف أنا! خائف أنا...

تومسكي	كونتيس، اسمحي لي أن أهنئك...
الكونتس	أخبرني، من هو هذا الموظف؟
تومسكي	أيهم؟ هذا؟ هرمان أحد أصدقائي.
الكونتيس	من أين أتى؟ له جو رهيب!
إنسكي	(إلى ليزا.)

الجمال الساحر للسماء
 والنسيم العليل للربيع
 مرح الناس وتهاني الأصدقاء
 تعدنا بمستقبل فيه السعادة والهناء!
 (يخرج مصطحبا ليزا والكونتيس.)
 (جانبا.)

هرمان

ابتهج يا صديقي!
 نسيت أن العاصفة تأتي بعد الصفاء
 والخالق قد منح الدموع في الهناء
 والرعد بعد النسيم العليل!

(مشهد وأسطورة شعرية يتلوها تومسكي.)

سورين	أية ساحرة شمطاء، هذه الكونتيس!
تشيكالنسكي	فزاعة رهيبة
تومسكي	ليس بلا سبب يدعونها "ملكة البستوني" !

لا أعرف لماذا لا تلعب أبدا؟

ماذا؟ العجوز؟ لماذا؟

(ضاحكا.)

إنها ساحرة في الثمانين.

إنكما لا تعرفان أبدا سيرتها!

لا، أبدا

أبدا!

إذن أصغيا!

سورين

تشيكالنسكي

تومسكي

سورين

تشيكالنسكي

تومسكي

منذ سنين، في باريس كانت الكونتيسة صبيّة

يجنّ الشباب لجمالها

يدعونها فينوس الموسكوفية

والكونت سنت - جرمان الوسيم

متيمّ بحبّها، واقعا تحت سحرها

لكن تنهّداته ذهبت سدى في استرضائها

الجميلة كانت تقضي لياليها

حتى الفجر في اللعب

وفضّلت قارون على الحب

ذات يوم في فرساي

لعبت لعبة الملكة

فأضاعت كل ما تملك فينوس الموسكوفية

بين المدعويين كان الكونت سنت جرمان

متتبعا للعبة في شغف، وسُمع يتمم

في المرحلة الحاسمة من اللعبة:

"يا إلهي، كنت أستطيع أن أربح

لو أنني راهنت مرة أخرى

على ثلاثة أوراق، ثلاثة أوراق، ثلاثة أوراق!"
استغلّ الكونت اللحظة حين الجميلة
تسلّت من بين الجموع تاركة الصالة
جلس وحده صامتا
يتمتم بحنان كلام مونسارت
"كونتيس، كونتيس، كونتيس"
مقابل لقاء واحد معك
أستطيع أن أشير إليك
بالأوراق الثلاثة، بالأوراق الثلاثة، بالأوراق الثلاثة."
قالت الكونتيس غاضبة: "كيف تجرؤ على ذلك؟"
الكونت لم يكن خائفا، في اليوم الثاني عادت
بدون مال لاعبة لعبة الملكة،
عرفت الأوراق الثلاثة وربحت كل شيء!
ولكن بأي ثمن!
آه الأوراق! آه الأوراق! آه الأوراق!
وذات يوم أسرت لزوجها اسم هذه الأوراق.
وفي يوم آخر قالت لشاب وسيم
في نفس الليلة التي رآها فيها وحيدة
سيظهر لك شبح مهدد، يقول:
"ستتلقين ضربة مميتة
من ثالث، يلتهب بهوى عنيف
ينتزع بالقوة سرّ الأوراق الثلاثة
الأوراق الثلاثة، الأوراق الثلاثة!"

(مشهد نهائي. العاصفة.)

تشيكالنسكي اسمه فيرو ومهنته الغناء Vero Trovato
سورين شيء مضحك! ولكن لتكن الكونتيس هادئة البال
فلن تجد عاشقا متيماً بمثل هذه الحال
تشيكالنسكي أصغ، هرمان!
ها هي ذي فرصة نادرة للعب دون مال!
تأملني!

تشيكالنسكي وسورين

"الثالث، الذي يأنه ببح عنيف
ينتزع بقوة سرّ الأوراق الثلاثة
الأوراق الثلاثة، الأوراق الثلاثة!"
(الرعد يقصف، المنتزّهون يتبددون بسرعة.)
المنتزّهون كيف فجأة انفجرت العاصفة
من كان يصدّق!
السماء ترعد بعنف اكبر
هيا، هيا لنركض ونفر!
لنركض ونخرج
لنركض نحو البيت
العاصفة تزار! يا إلهي! يا للأسف!
هرمان "ستلقين ضربة قاتلة
من الثالث الذي يأنه ببح عنيف
وينتزع بقوة سرّ الأوراق الثلاثة
الأوراق الثلاثة! الأوراق الثلاثة!
آه، ماذا يهمني،
لو عرفت أو لم أعرف السرّ

سيّان عندي، وحيدا أضاعني القدر
العاصفة تزار ويتلوها المطر
لا شيء يخيفني، عواطفي عالقة بالسرّ
بقوّة مميتة
لا تُقارن بها العاصفة المقيتة
لا يا أمير! وحقّ حياتي لن أتركها لك
لا أعرف كيف، ولكن سأنتزعها منك
رعد، برق، ريح! أقسم أمامك
ستكون لي، ستكون لي أو أموت!

المشهد الثاني

(ثنائي ليزا وبولين)

(غرفة ليزا. شبّاك الشرفة يطلّ على الحديقة. معزف قيثاري. ليزا وبولين

محاطتان بجمع من الأصدقاء.)

ليزا وبولين إنه المساء...

السحب تكثّف، وآخر شعاع الغسق يتبدّد

وعلى النهر كما في السماء

ينطفئ البرق وتصحو الأجواء

وتتمحي من النهر أوراق الخريف البالية

ويفوح في الجو عطر نباتات فاغية

ما أحلى الصمت وسكون النهر وتمتمة المياه

وهبوب النسيم العليل وارتعاش الصفصاف

في هدوء الليل على كتف الضفاف

(حكاية بولين وغناء روسي مع الكورس)

الأصدقاء ساحر! ساحر هذا الغناء

ممتع! متع!

عجيب! رهيف!

عجيب! رهيف!

أه، بهيج رائع للألاء

ليزا بولين، ستغني وحدها

بولين وحدي؟ لماذا؟

الأصدقاء نرجوك، ماذا تقولين؟

يمامة، حيث تصدحين

في أية أغني تغنين

بولين سأغني حكايتي المفضلة

أصغوا إليه... ما هي؟

(تمسك بالمعزف القيثاري وتغني.)

نعم، أذكرها

يا أصدقائي، يا أصدقائي

ما دمتم تحبون

بغير اكتراث الرقص والغناء

وأنا، مثلكم، عشت تجربة في أركاديا السعيدة

في فجر أيامي، في الغابات عرفت لحظات سعيدة

الحب أحلام ذهبية

وأمكنة ساحرة غنية

قبر، قبر، قبر

حب مخلص حتى القبر

ها هي فكرة الأغنية

اغنية فيها دموع سخية
ولكن لم؟ أنت حزينة يا ليزا
في يوم خطبتك!
بماذا تفكرين، واه، واه، واه!
لم المزاج الحزين!
لنجد أغنية مرحة، روسية مرحة
على شرف خطوبتك!

هيا، لنبدأ، أنتم تغنون بعدي

الأصدقاء حقا! حقا!

لنغن أغنية مرحة، روسية مرحة!

هيا، يا قلبي، يا صغيرتي ماشا

بولين

ارقصي، استمتعي

بولين والأصدقاء

أيوه، ليلي، ليلي، ليلي!

ارقصي، استمتعي

يداك الصغيرتان البيضاوان

بولين

ضعيهما على الوركين!

بولين والأصدقاء

أيوه، لُيُلي، لُيُلي، لُيُلي!

ضعيهما على الوركين!

فخذاك الصغيران الجميلان

بولين

لا تحركيهما، تسلي!

بولين والأصدقاء

أيوه، لُيُلي، لُيُلي، لُيُلي!

لا تحركيهما، تسلي!

بولين إذا أمك سألتك

أجيبني أنك بخير!

بولين والأصدقاء

أيوه، أيلي، أيلي، أيلي!

أجيبني أنك بخير!

بولين لكن إذا أبوك سألك

قولي: "غنيت طوال الليل!"

بولين والأصدقاء

أيوه، أيلي، أيلي، أيلي!

قولي: "غنيت طوال الليل!"

بولين وإذا صديقك مأك

قولي: "اذهب، اختف من نظري!"

بولين والأصدقاء

أيوه، أيلي، أيلي، أيلي!

اذهب اختف من نظري!"

(تدخل المربية.)

(مشهد وإلقاء ملحن للمشرفة بمرافقة عزف)

المربية أنساتي، ماذا تعني هذه الضوضاء؟

الكونتيس غاضبة لهذا الغناء

أيوه، أيوه، أيوه!

ألا تفخرون بالرقصات الموسكوفية؟

عيب عليكم يا سادة! ويا سيّدات!

من هنّ في مثل مقامكنّ يا أنسات

عليهم أن يتعلّمن أداءها!

رقصة السربندة لا تليق إلا بالخدم
 رقصة الفلاحين لا تليق بالأميرات
 لا، ليس ها هنا تؤدّى يا جميلات
 لا تذهلن عن كونكن متميزات
 عليكن أن تتذكرن هذه الحقيقة حتى الممات
 اللياقة والأدب وقواعد السلوك في الحياة!

(المشهد الختامي)

آن الأوان لتتفرّقا	المربية
أرسلت إليكم لتودّعوا..	
ليزا، لماذا أنت حزينة؟	بولين
أنا حزينة؟ أبدا!	ليزا
انظري، في هذه الليلة الرائعة جاء بعدها العاصفة الرهيبة	
كل ما في الكون عاد إلى الحياة من جديد انتبهى، سأقول للأمير أنك ستلاقيه في يوم خطبتك	بولين
لا، بحق السماء لا تفعلني لا تقولي له شيئا!	ليزا
إذن، بسرعة ابتسمي من فضلك نعم، هكذا، قبل أن أودّعك!	بولين
سأصطحبك!	ليزا
(تخرج مع بولين ثم تعود.) (تخاطب وصيفتها.) لا تُغلقي الباب، دعيه مفتوحا!	

ألا تصابين بالبرد أنستي؟	ماشيا
لا، ماشيا، الليلة حلوة، ما أجملها!	ليزا
هل أساعدك على خلع ملابسك؟	ماشيا
لا، سأفعل ذلك بنفسي. اذهبي ونامي!	ليزا
الوقت متأخر، أنستي	ماشيا
اتركيني، واذهبي!	ليزا
(تبقى وحيدة، غارقة في أفكارها، تبكي بصمت.)	

لماذا؟ من أين يأتيني البكاء؟
أحلام فتاة صغيرة، لماذا تخذليني،
أحلام فتاة صغيرة، لماذا تخذليني؟
كنت في الواقع قاب قوسين مني
حين أسلمت حياتي للأمير
رفع قدرتي بحبه الكبير
بذاته، بروحه، بوسامته، بثروته،
بمقامه، ونبله الأصيل
كان يستحق غيري رفيقة، أفضل مني بكثير
من يضاھيه في نبله، في وسامته، في أناقته
في حبه الكبير؟
لا أحد! لماذا إذن أشعر بالخوف والحزن؟
أرتجف وأبكي بدموع حرى لماذا؟
أحلام فتاة صغيرة، لماذا تخذليني،
أحلام فتاة صغيرة، لماذا تخذليني؟
أتريدون أن تقلب لي الدنيا ظهر المجنّ؟
كئيبة أنا، خائفة أنا إذ أكذب على نفسي

وحيدة أنا هنا، والكل حولي نيام
 أصغ إليّ يا ليل، فوحده من أثبت له
 سرّ روعي وشوقي والهيام
 إنه مثلك غامض من سرق بعينه الحزینتین
 سعادتِي، وراحتِي، والمنام
 إنه وسيم، والنار المتوهّجة من عينيه
 أسرتني بحلم رائع غريب
 أعطيته روعي يا ليل، يا ليل وكلّي إليه!

(يظهر هرمان من نافذة الشرفة. يتملّك ليزا الخوف، وتراجع
 بحركة تحاول بها الهروب.)

قفي، أستحلفك بالله!

هرمان

ماذا تفعل هناك، أيها المجنون؟

ليزا

ماذا تريد مني؟

تقولين وداعاً! لا تغادري! ابقِي!

هرمان

سأغادر عن قريب ولن تريني أبداً...

لحظة واحدة!... ماذا تساوي لديك؟

إنسان ميت من يستجديك.

لماذا، لماذا أنت هنا؟ غادر!

ليزا

لا!

هرمان

سأصيح!

ليزا

صيحي! أيقظي كل الناس

هرمان

بأي شكل سأموت

وحيدا أو أمام كل الناس

ولكن يا جميلة، إن كان لديك

ذبالة شرارة من رحمة، ابقى ولا تغادريني!

يا إلهي! يا إلهي!

ليزا

هذه ساعتى الأخيرة، ساعة موتى!

هرمان

فهمت قرار الحكم علىّ اليوم

أيتها القاسية، لقد أعطيت لغيرى قلبك!

دعيني أموت وأنا أباركك، لا بل ألعنك!

كيف

أستطيع الحياة

عالمًا أنك لآخر ولست لى؟

شعور واحد يتملكنى، أن أعيش حياتى من أجلك!

أريد أن أموت، ولكن قبل أن أودع الحياة

اتركينى لحظة بقربك!

كلانا فى الصمت الساحر لليل

اتركينى أنتعش بجمالك!

حتى إذا جاءنى الموت والسلام

يكون آخر ما أذكره وجهك!

ابقى! أه كم أنت جميلة!

غادر! غادر!

ليزا

أيتها الجميلة! أيتها المعبودة! أيها الملاك

هرمان

معذرة، أيها المخلوق السماوى

أعذرينى أننى قد أقلقك راحتك

أعذرينى باعترافى اللهف بحبك

لا تدفعينى بقسوة عنك!

أه، لا أرجو عند موتى إلا رحمتك!

من السماء العالفة، ألقى نظرة

على الصراع الرهيب في قلبي المعذب بحبك!
 أه! ارحميه ودفني روي
 تدفني وتكفيني دمة منك
 (ليزا تبكي.)

أتبكين! أنت؟ ماذا تعني هذه الدموع؟
 أنت ترحميني ولا تدفعيني عنك بهذي الدموع
 شكرا لك! يا جميلة! يامعبودة! يا ملاك
 (تسمع ضجة خطوات وباب يُغلق.)

ليزا، افتحي!

الكونتيس

الكونتيس! الإله عادل! لقد ضعت

ليزا

أهرب! تأخرت! من هنا!

(تشير إليه أن يختبئ وراء لوحة من السجاد. ثم تذهب لتفتح
 الباب.)

لماذا لم تنامي؟ لماذا ترتدين ثيابك؟ وما هذه الفوضى في
 غرفتك؟

الكونتيس

جدتي، كنت أمشي في الغرفة

ليزا

لم أستطع النوم

لماذا الشرفة مفتوحة؟

الكونتيسة

لماذا هذه النزوات

احذري! إياك من الحماقات

اذهبي إلى سريرك في الحال

(تضرب الأرض بعصاها.)

هل تسمعين؟

نعم جدتي، في الحال

ليزا

لم يأتني النوم! أبدا لم أر مثل هذا!

الكونتيس

أي عصر! لم يأتني النوم! هيا إلى سريرك!
 ليذا سأطيعك! سامحيني!
 الكونتيس أسمع ضجة
 أقلقك جدتك
 هيا! ولا تقومي بحماقات!
 (تخرج.)

هرمان "من يكون، من يلتهب بحب عنيف
 وينتزع بقوة سرّ الأوراق الثلاثة!"
 ارتجاف قبر يجمد الهواء
 أيها الشبح الرهيب، الموت
 لا أريدك!

(ليذا تشير إلى هرمان ان ينصرف من الشرفة.)
 ابتعد عني! أيها الموت، هناك دقائق قليلة
 تبدو لي تحية قبل السعادة!
 أنا خائف، أنا خائف!
 فتحت لي فجر السعادة
 أريد أن أحيأ وأموت معك!

ليذا أيها الرجل المجنون، ماذا تريد مني،
 ماذا أستطيع فعله من أجلك؟
 هرمان قرري مصيري!

ليذا أرحمك، وأنت تغويني!
 أخرج، أطلب منك، أمرك!

هرمان أنت إذن تحكمين عليّ بالموت؟
 ليذا يا إلهي! أنا استسلم، غادر، أرجوك!
 هرمان إذن، ساموت!

ليزا الله عادل!

هرمان وداعا!

ليزا لا، لتحيا!

هرمان يا جميلة! يا معبودة! يا ملاك!

(لنفسه.)

أحبك!

ليزا أنا لك!

(هرمان يضم ليزا بين ذراعيه، فتضع رأسها فوق كتفه.)